شبهات وردود حول جمع القرآن في خلافة عثمان

دكتور
شحاتة حافظ محمد الشيخ
أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية المساعد
بكلية أصول الدين وعلوم القرآن
جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية
قدح دار الأمان – ماليزيا

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

المقدمة

لا يخفى على الباحثين الظروف التي تحيط بالأمة الإسلامية والانحراف الفكري المأجور من كل القوى المعادية للإسلام، ولقد كانت أمة الإسلام حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام على منهج واحد من التسليم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وعدم التقدم بين يديهما، فلم يحرفوا نصاً ولم يعارضوه ولم يقبلوا قول أحد إذا خالف الكتاب أو السنة. والعرب قبل الإسلام، وفى صدر الإسلام المبكر كانوا ذوي ملكات في الحفظ لم يماثلهم فيها شعب أو أمة، من قبلهم أو معاصرة لهم، ومن يعرف الكتابة والقراءة فيهم قليلون فكانوا يحفظون عن ظهر قلب ما يريدون حفظه من منثور الكلام ومنظومه.

وروعة نظم القرآن، ونقاء ألفاظه، وحلاوة جرسه، وشرف معانيه، هذه الخصائص والسمات فاجأت العرب بما لم يكونوا يعرفون، فوقع من أنفسهم موقع السحر في شدة تأثيره على العقول والمشاعر، فاشتد اهتمامهم به، وبخاصة الذين كانوا من السابقين إلى الإيمان به، وكانوا يترقبون كل جديد ينزل به الوحي الأمين، يجمعون بين حفظه والعمل به.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه شيء من الوحي يأمر كُتَّاب الوحي بكتابته فورًا، سماعًا من فمه الطاهر ثم ينشر ما نزل من الوحي بين الناس. إنَّ تأخير جمع القرآن عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجمعه في مصحف في خلافة أبى بكر رضى الله عنه، في المرحلة الأولى، ثم المرحلة الثانية في خلافة عثمان رضي الله عنه أغرى بعض الجهلاء في سوق الشبه في جمعه، ونقول إن هذا العمل لا مساس له مطلقًا بوحدة القرآن وصلة كل كلمة بالوحى الإلهي؛ لأن القرآن قبل جمعه في مصاحف كان محفوظًا كما أنزله الله على خاتم المرسلين. كل ذلك وأمور أخرى لا يتسع المكان لذكرها قد يستنبطها القارئ اللبيب حين يقوم بالاطلاع على البحث. لذا أحببتُ أن أكتب في هذا الموضوع الكبير محاولة صغيرة ومتواضعة بعنوان " **شبهات وردود حول جمع القرآن في خلافة عثمان** "

أوضح فيها مدى خطورة هذا الفكر والشبهات التي يتبانها حول مسألة جمع القرآن في خلافة سيدنا عثمان بن عفان، وما يحظى به من دعم مأجور من قبل القوى الغرب التي تعادي الإسلام وتكيد له.

إشكالية الموضوع:

تدور إشكالية هذه الدراسة وتتمحور حول شبهات المغرضين من وقائع جمع القرآن

الكريم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلى تحليل خطورة الانحراف الفكري واستخدام العقل والاعتماد عليه بطريقة تخالف المنهجية العلمية في النقد وإثارة الشبهات، وهذه الشبهات ما هي إلا وليجة يتسللون من خلالها للنيل من القرآن، وإيقاع التشكيك فيه وفي كونه وحياً من عند الله عز وجل.

والدافع الذي ألجأهم إلى التسلل من خلال هذه الوليجة والدفع بهذه الشبهات في وقائع جمع القرآن أمران رئيسيان:

الأول: محاولتهم التي لا تتوقف ولا تمل لنزع الثقة عن القرآن الكريم وخلخلة الإيمان به حتى لا يظل هو النص الإلهي الوحيد المحفوظ من قبل رب العالمين من كل تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقصان.

الثاني: تبرير ما لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من تحريف ونقد وجه إلى الكتاب المقدس في عهديه القديم " التوراة" والجديد " الإنجيل " وذلك ليقطعوا الطريق على ناقدي الكتاب المقدس من المسلمين وغير المسلمين.

مما يستدعي الرد العلمي الموثق من آراء العلماء. لذا اجتهدت في صياغة أسئلة هذه الإشكالية **عبر المحددات** الآتية:

١- حقيقة أن القرآن لم يدون ولم يكتب في مصحف أو صحائف إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أما في حياته فلم يكن مجموعاً في مصحف؟

٢- هل المرحلة الأولى لجمع القرآن في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه – تعتبر جمع ابتدائي غير موثق تمام التوثيق كما زعم المبطلون؟

٣- هل كان جمع القرآن في خلافة عثمان – رضي الله عنه – قابلاً لإدخال كثير من الإضافات التي افتقر إليها تدوين القرآن فيما بعد لأن القرآن لم يكن مضبوطاً مشكولاً؟

٤- حقيقة شبهة الإضافات التي ألحقت بالنص القرآني ولم تكن موجودة في العصر النبوي، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، شبهة قادحة في القرآن الكريم، وأبرز هذه الإضافات ما يلي:

- نقط حروفه لتمييز بعضها عن بعض، مثل تمييز الخاء من الجيم والحاء، وتمييز التاء بوضع نقطتين فوقها عن كل من الياء والباء والنون والثاء.
- ضبط كلماته بالضم والفتح والكسر والجزم.
- علامات الوقف: مثل ج – صلي – لا – قلي – م.
- وضع الدوائر المرقوم فيها أرقام الآيات في كل سورة.

- هذا كله وغيره مما سيعرضه البحث من شبهات والرد عليها يتخذه المبطلون زريعة للطعن في وقائع جمع القرآن في عهد عثمان – رضي الله عنه -.

٥- ما الأساليب التي يتبناها المشككون المغرضون وأخص منهم العقليون للنيل من وقائع جمع القرآن الكريم. ولماذا تفتح لهم الأبواب المغلقة لنشر أفكارهم في العالم الإسلامي؟

أهداف الموضوع:

١- الرد على الشبهات التي تبناها خصوم القرآن، وخاصة في مسألة وقائع جمع القرآن الكريم في خلافة عثمان – رضي الله عنه -.

٢- الوقوف على المراحل التاريخية لنشأة هذه الشبهات وتطورها وتنوعها من حين إلى آخر.

٣- معالجة أوجه القصور في الدراسات التي تناولت الرد على شبهات وقائع جمع القرآن دون الغوص في الأسباب الحقيقية لتطور هذا الفكر وعدم رصد مراحل التطور التي مر بها.

٤- إبراز دور خصوم الإسلام عامة والمغرضون منهم في القرآن خاصة وذلك في تأصيل هذا الفكر تأصيلاً مزيفاً ونشره في العالم الإسلامي ومساعدته على التوسع إعلامياً وفكرياً.

٥- تقديم توصيات ومقترحات للوقوف العلمي الموثق اتجاه هذه الشبهات والتصدي لصور الانحرافات الفكرية والعقلية في وقائع جمع القرآن في المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة والعالم أجمع بصفة عامة وطرق الوقاية منها.

الدراسات السابقة:

أحسب أن فكرة البحث جديدة لم تطرح من قبل في عمل أكاديمي ولم أجد إلا بعض الأفكار المتناثرة التي تشير من بعيد إلى الشبهات الخاصة بوقائع جمع القرآن في خلافة عثمان التي هي عماد البحث، وهناك بعض الكتابات التي تناولت مسألة الشبهات بوجه عام دون تخصيص بحث معين لهذه الفترة ومعلوم لكل الباحثين والمتخصصين أن الدراسات والكتابات عن جمع القرآن أكثر من أن تحصى وهذا يعطيني مسوغ علمي مقبول أن أقدم بعض الأفكار الجديدة التي جاءت في صفحات البحث ولولا الخوف من الإطالة ومخالفة المسموح به في عدد الصفحات لأسهبت في الفكرة والعرض.

أما عن الأفكار الجديدة التي قدمها البحث فملخصها كالآتي:

١. قدم البحث فكرة الربط التاريخي بين الأفكار الطاعنة في جمع القرآن قديماً وبين انبعاث هذا الفكر مجدداً لأسباب سأبينها في البحث.
٢. كتبت هذا البحث وفي ذهني تتبع ورصد تطور الشبهات التي تطعن في جمع القرآن الكريم منذ النشأة حتى عصرنا الحاضر.
٣. حرصت على كشف الآثار المترتبة على إيقاظ هذه الأفكار من جديد ومن ساعد على إيقاظها واستخدامها في تشويه صورة الإسلام والمسلمين.
٤. قدم البحث فكرة جديدة عن التبني المأجور لإثارة الشبهات حول جمع القرآن الكريم والطعن فيه واستغلال هذه الأفكار لنزع القداسة عن نصوص القرآن الكريم.
٥. حاولت أن أقدم أفكار جديدة للوقاية من خطر هذه الأفكار في عصرنا.

مضمون البحث:

خطة البحث تتكون من: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع وبيان أهميته وأهدافه وإشكالية البحث.

المبحث الأول: تاريخ ووقائع جمع القرآن الكريم في حياة النبي وخلافة أبو بكر.

المبحث الثاني: وقائع جمع القرآن في خلافة عثمان – رضي الله عنه -.

المبحث الثالث: شبهات وردود حول جمع القرآن في خلافة عثمان -رضي الله عنه- بين آراء العلماء وتطاول الجهلاء.

الكلمات المفتاحية للبحث: جمع القرآن – أسباب جمع القرآن – المصحف الإمام – موافقة الصحابة – المستشرقون – شبهات وردود.

المبحث الأول

تاريخ ووقائع جمع القرآن الكريم في حياة النبي وخلافة أبو بكر

توفي نبي الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الرقاع[١] واللخاف[٢] والعسب[٣] والأكتاف، لكنه مفرق ولم يرتب في مصحف واحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويرجع سبب عدم جمع القرآن مرتباً في مصحف واحد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حرص النبي نفسه على عدم جمعه ترقباً لنزول جديد منه حتى وفاته، فلو أنه رتبه أولاً بأول وجمعه بين دفتي

---

[١] الرقاع: هي قطع الجلود التي تكتب عليها الآيات.

[٢] اللخاف: هي الحجارة الرقيقة وتستخدم أيضا في تدوين ما نزل من الآيات.

[٣] العسب: هو جريد النخل ويستخدم في نفس الغرض السابق.

مصحف واحد، لأدى ذلك إلى كثرة التغيير والتبديل كلما نزلت عليه آية وهذا من المشقة ما فيه.

والنصوص واضحة الدلالة، على حفظ القرآن الكريم في سطور الصحف[١]، إضافة إلى حفظه المتواتر في الصدور في عهد النبوة، ونذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية في السطور القادمة قبل أن نتحدث عن تاريخ وقائع جمع القرآن الكريم.

أولاً: القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: ٥] ووجه الدلالة في الآية أن المشركين شاهدوا صحفاً مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم، وقالوا " اكتتبها " ولم يقولوا " كتبها " لأنهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب، بل يأمر غيره بالكتابة.[٢]

٢- تكرار كلمة " الكتاب " في السور المكية، والتي تعني: القرآن الكريم، ومثال على ذلك قوله تعالى: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ٢] وقوله تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]

ثانياً: السنة النبوية:

نورد هنا بعض الأحاديث التي يستدل بها على تدوين القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكن القرآن محفوظاً في الصدور فقط.

١- عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحُهُ " [٣]

٢- عن ابن عمر – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تسافروا بالقرآن، فإني لا آمنُ أن يناله العدو " [١]

---

[١] الفرق بين الصحف والمصحف: أن الصحف: الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر-رضي الله عنه – وكانت سوراً مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتبت بعضها إثر بعض، صارت مصحفاً. انظر: ابن حجر العسقلاني. فتح الباري ١٨/ ٩.

[٢] الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٣/١٦١ والمعنى: اكتتبها كاتب له، لأنه كان أمياً لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه صلى الله عليه وسلم.

[٣] رواه مسلم في الزهد باب التثبيت في الحديث (٣٠٠٤).

٣- عن عثمان بن أبي العاص – رضي الله عنه – " دخلت على رسول الله صلى الله فسألته مصحفاً كان عنده، فأعطانيه " [٢]

٤- عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال " كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع" [٣]

٥- قال ابن عباس – رضي الله عنه – عن سورة الأنعام: " هي مكية نزلت جملة واحدة، نزلت ليلاً، وكتبوها من ليلتهم " [٤]

وقائع جمع القرآن في خلافة أبي بكر:

أولاً: أسباب جمع القرآن الكريم:

يمتد عهد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من عام ١١ - ١٣هـ، لمدة سنتين وبضعة أشهر، حيث بويع بالخلافة قبل دفن جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوفي رضي الله عنه بالمدينة في شهر جمادي الآخرة سنة ١٣هـ. وبعد تولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة، خصوصاً ما كان من قبل أهل الردة، وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة، خصوصاً ما كان في موقعة اليمامة، حيث استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، منهم أكثر من سبعين من قراء الصحابة، فاشتد ذلك على الصحابة، ولا سيما على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقترح على أبي بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن الكريم؛ خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القراء، فتردد أبو بكر لأول الأمر ثم شرح الله صدره لما شرح له صدر عمر رضي الله عنه، فكان هو أول من جمع القرآن بين اللوحين [٥]، وكان أحد الذين حفظوا القرآن كله [٦].

---

[١] رواه مسلم في الإمارة باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار(١٨٦٩).

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير باب أبو محرز بن عثمان بن أبي العاص ٦١/ ٩ (١٨٣٩٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ما جاء في عثمان بن أبي العاص (١٥٩٩١) ٦٢٠/ ٩. وبعد أن رواه الشيباني في الآحاد والمثاني باب عثمان بن أبي العاص ٣/١٩١ (١٥٢٨)، نقل عن أبي بكر بن أبي عاصم قوله " هذا مما يحتج به أن القرآن جمع في مصاحف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما روي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تسافروا بالمصحف إلى أرض العدو " دل على أنه كان مجموعاً في المصاحف.

[٣] رواه الترمذي في المناقب باب فضل الشام واليمن، وقال: حسن غريب. وبين البيهقي في شعب الإيمان صـ ١٧١، أن المقصود بالتأليف " الترتيب فقال: وإنما أراد – والله أعلم – تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورتها، وجمعها فيها، بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم.

[٤] انظر: ابن الجوزي: زاد المسير ٣/١، ومحمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل ٦/٢٢٣٠.

[٥] أبو بكر عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني الحنبلي المعروف بـ" ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/١٦٥.

[٦] جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، نقلاً عن ابن كثير في تفسيره.

ويتضح ذلك من الحديث الصحيح الذي روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من كتاب الوحي، وقال فيه: "أَرْسَلَ إِلِيَّ أَبُو بكرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامةِ وعندهُ عُمرُ، فقالَ أبو بكرٍ: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامةِ بالناس، وإنّي أخشَى أن يستَحرَّ القَتْلُ بالقرّاءِ في المواطن، فيذْهبَ كثيرٌ من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمعَ القرآن". قال أبو بكر: "قلتُ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالسٌ لا يتكلم، فقال أبو بكر: "إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ ولا نتهمك، كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كانَ أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن". قلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم. فقال أبو بكر: هو والله خير.

فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرحَ الله له صدر أبي بكرٍ وعمر. فقمتُ فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسُبِ وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩]، إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر حتى توفّاه الله ثم عند حفصة بنت عمر" [١]. وعلى هذا، فقد بدأ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه سنة ١٢هـ.

ثانياً: المكلف بجمع القرآن:

ذكر أبو بكر بن أبي داود عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: "لما استحر القتل بالقراء يومئذ فَرِقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" [٢]

ويبدو من هذا الأثر أن المكلف بجمع المصاحف في عهد أبي بكر اثنان، وهما: عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت. غير أن جمهور العلماء على أن المكلف بالجمع هو زيد بن ثابت

---

[١] البخاري: التفسير (٤٣١١)، ابن كثير: فضائل القرآن) ٤٦٠٣)، ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام: (٦٦٥٤)، وانظر: الترمذي: التفسير (٣٠٢٨)، وانظر: الإمام أحمد: مسند العشرة: ٧٢، وانظر تخريجه مستوفي في كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١/ ١٦٩ – ١٧٩.

[٢] ابن أبي داود: كتاب المصاحف: ١/ ١٦٨ - ١٦٩، إسناده منقطع، لأن عروة لم يلق أبا بكر.

وحده، أما عمر رضي الله عنه فلم يثبت أنه كان مكلفاً بالجمع، والأثر المذكور سابقاً منقطع، فلا يحتج به، وإن سُلّم فيكون المراد: الإشراف على الجمع، والنظر في الشهادة والكتابة.

وزيد هذا، هو زيد ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً بالصدق والأمانة، وتفقه في الدين حتى أصبح رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض على عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكان يعد من الراسخين في العلم، توفي سنة ٤٥هـ، ولما توفي رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا" [١].

يقول العلامة الزرقاني[٢] في ذلك: "اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن، ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته صلى الله عليه وسلم، وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته، وكمال خلقه، واستقامة دينه[٣].

وقال: ويؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن" [٤]. ويشهد بوفرة عقله تردده وتوقفه أول الأمر ومناقشته لأبي بكر حتى راجعه أبو بكر وأقنعه بوجه الصواب. وينطق بدقة تحريه قوله: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال" [٥].

ثالثاً: كيفية جمع القرآن في خلافة أبي بكر:

استثقل زيد بن ثابت المهمة، إلا أنه حينما شرح الله له صدره باشر بها، وبدأ بجمع القرآن بوضع خطة أساسية للتنفيذ، اعتماداً على مصدرين هامين، وهما:

---

[١] انظر: شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ،١/٢٩، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ٣/٣٩٩، محمد بن محمد الجزري: غاية النهاية، ١/٢٩٦، ابن حجر: الإصابة ١/٥٦١، ابن سعد: طبقات: ٢/٢٧٣، خير الدين بن محمود ب محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي: الأعلام، ٣/٥٧.

[٢] محمد عبد العظيم الزرقاني: علم بارز من أعلام الأزهر، تخرج بها ودرس فيها، وتأليفه لكتاب: مناهل العرفان خير دليل على طول باعه، وعلو مكانته في علوم القرآن الكريم، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ، انظر: الزركلي: الأعلام: ٦/١٠.

[٣] الزرقاني: مناهل العرفان، ١/٢٥٠.

[٤] البخاري: فضائل القرآن، ٤٦٠٣، الترمذي: التفسير: ٣٠٢٨، أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة ٧٢.

[٥] البخاري: فضائل القرآن ٤٦٠٣.

١- ما كتب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وبإملاء منه، وكان زيد نفسه من كتاب الوحي.
٢- ما كان محفوظاً لدى الصحابة، وكان هو من حفاظه في حياته صلى الله عليه وسلم. وكان لا يقبل شيئاً من المكتوب، حتى يتيقن أنه: مما كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بشهادة شاهدين عدلين[١]. وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان. [٢]

كما يدل عليه ما أخرجه ابن أبي داود أيضا، ولكن من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" [٣]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة)[٤]. وقد ذهب العلامة السخاوي رحمه الله إلى أن المراد بشاهدين: رجلان عدلان يشهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن[٥]. وقال أبو شامة: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، لا من مجرد الحفظ.

وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن في صحف بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة، وأجمعت الأمة على ذلك دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، والصحابة في المعاونة والإقرار.

---

[١] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ١/٥٨.

[٢] ابن أبي داود: كتاب المصاحف، ١٨١ - ١/١٨٢، وعنه السيوطي: في الدرر المنثور ٨/٣٣٢، وابن حجر: الفتح: ٩/١٥، وانظر: ابن كثير فضائل القرآن، صـ٢٧، والإتقان: ١/١٦٦.

[٣] كتاب المصاحف: ١/١٦٩، وانظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء، ١/٨٦.

[٤] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ١/١٤.

[٥] انظر: جمال القراء: ١/٨٦.

وقد قوبلت تلك الصحف التي جمعها زيد بما تستحق من عناية فائقة، فحفظها أبو بكر عنده مدة حياته، ثم حفظها عمر بعده حتى شهادته، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها بعد وفاة والدها، حتى طلبها منها عثمان رضي الله عنه ليستنسخ منها مصاحفه اعتماداً عليها، ثم ردها إليها إيفاء بالعهد الذي أعطاها إياه، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم حينما ولي المدينة فأبت، ثم لما توفيت رضي الله عنها سنة ٤٥هـ، حضر مروان بن الحكم جنازتها، ثم طلب من أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنه فبعث بها إليه فأخذها مروان وأمر بإحراقها[١].

المبحث الثاني
وقائع جمع القرآن في خلافة عثمان

يُعد جمع الخليفة عثمان بن عفان للقرآن الكريم هو الجمع الثاني في عهد الخلفاء الراشدين .عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وعلوم الدين، وكان كل صحابي يُعلم طلابه بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيقرأون بما لم يسمع أهل العراق، وكان أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيقرأون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضًا [٢] .روى ابن الجزري: "فنحن نقطع بأن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه، من زيادة كلمة أو أكثر، وإبدال أخرى بأخرى، ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرها، ونحن اليوم نمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيره منع تحريم لا منع كراهة، ولا إشكال في ذلك. ومن نظر أقوال الأولين علم حقيقة الأمر" [٣].

عندما اتجه جيش المسلمين لفتح أرمينية وأذربيجان كان الجنود من أهل العراق والشام، فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم، ورأى حذيفة بن اليمان اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلفِ كل منهم لقراءته، واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب، وما عداها تحريف وضلال حتى كفر بعضهم بعضًا، فأفزع هذا حذيفة وقال: والله لأركبن إلى أمير المؤمنين، وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة، فقد كان

---

[١] انظر: كتاب المصاحف: ١٧٧ - ١/١٧٩، و جمال القراء ١/٨٨، مناهل العرفان: ١/٢٥٢.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري: الجزء التاسع، صـ١٨.

[٣] ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجوزي صـ٢١.

المعلم يعلم بقراءة، والمعلم الآخر يعلم بقراءة، فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر، فبلغ ذلك عثمان، فقال خطيبًا":أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إمامًا" [١]، فلمّا جاء حذيفة إلى عثمان وأخبره بما جرى تحقق عند عثمان ما توقعه، روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال: "إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان" [٢]

ذكر ابن عطية الأندلسي أن الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر بقيت عنده ثم عند عمر بن الخطاب بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف عبد الله بن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبي بن كعب وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب الأحرف السبعة التي أُنزل القرآن عليها، فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية انتدب عثمان لجمع المصحف [٣]

جمع المصحف:

لما سمع عثمان بن عفان ما سمع وما أخبر به حذيفة بن اليمان، استشار الصحابة فيما يفعل، فقد روى ابن حجر العسقلاني عن علي بن أبي طالب قال: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف .. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعًا، قال: ما تقولون في هذه القراءة، قد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى، قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: – رضي الله عنه - والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل [٤]".اختار عثمان لمهمة نسخ المصاحف أربعة هم :زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير

---

[١] الطبري: كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

[٢] صحيح البخاري باب جمع القرآن: حديث رقم ٤٧٠٢.

[٣] فهد بن عبد الرحمن الرومي: جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين: صـ ٢٠.

[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري: الجزء الأول صـ١٧.

وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة من قريش، وقد سأل عثمان الصحابة ":من أكتب الناس، قالوا: كاتب رسول الله زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب، قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد [١]".وقيل أن عثمان اختار اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم [٣] [٢].ولا يوجد تعارض بين الروايتين، وما هو ثابت هو أن أعضاء لجنة كتابة المصحف هم الأربعة، ويظهر أن عثمان بن عفان لم يكتف بهؤلاء الأربعة بل كان يضم إلى معاونتهم من يكون عنده علم بالقرآن يعاونهم في كتابته [٤] بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة على جمع القرآن على حرفٍ واحد، سلك منهجه وطريقته في جمع المصحف وتمثلت هذه الطريقة في الآتي:

- أن عثمان خطب في الناس فقال: "أيها الناس، عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس، قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب، قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان :فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن [٥].

- أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك، فأرسلت بها إليه، وهي الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق.

---

[١] المرجع السابق: الجزء التاسع صـ ١٩.

[٢] جمع القرآن في عهد الخلفاء الرشدين: صـ٢٢.

[٣] أحمد إسماعيل يحيى: مفتاح الراغبين، الدار المصرية واللبنانية، ١٤٢٠هـ، صـ ٨٧.

[٤] عوض أحمد الناشري الشهري: المصحف العثماني " توصيفه، تاريخه، هل كتبه عثمان بيده، وهل هو موجود الآن، صـ ٧.

[٥] ابن أبي داود: كتاب المصاحف (جمع القرآن) موسوعة الحديث.

- دفع عثمان إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة المصحف الذي كان عند حفصة، وأمرهم بنسخ مصاحف منها، وقال" [١]إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"
- إذا كان في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أية علامة تقصر النطق بها على قراءة واحدة، فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعًا، مثل: كلمة (فَتَبَيَّنُوا) التي قرئت أيضًا (فتثبتوا)، وكلمة)نُنشِزُهَا) قرئت أيضًا (ننشرها). أما إذا لم يكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها، فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى، مثل: (وَوَصَّى بِهَا إبرَاهِيم) هكذا تكتب في بعض المصاحف[٢]، وفي بعضها (وأوصى)، أما المثال الآخر (وَسَارِعُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِن رَّبِّكُم) بواو قبل السين في بعض المصاحف، وفي بعضها بحذف الواو.

بعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار والبلاد الإسلامية، حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد، وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف فيعرض الناس مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة [٣].

مميزات مصحف عثمان:

[٤]امتاز مصحف عثمان بعدة مميزات هي

- الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة: قال ابن القيم: "جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله القراءة بها لمَّا كان ذلك مصلحة" [٥].
- إهمال ما نسخت تلاوته: كان مقصد عثمان بن عفان جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتب مع مثبت

---

[١] صحيح البخاري: باب نزل القرآن بلسان قريش، حديث رقم (٣٣١٥).

[٢] فهد بن عبد الرحمن الرومي: جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، صـ ٢٤.

[٣] فهد بن عبد الرحمن الرومي: دراسات في علم القرآن، صـ ٨٧-٨٩.

[٤] جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين: صـ ٢٢-٢٥.

[٥] ابن القيم: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، صـ ١٦.

رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده [١]

- الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه: روى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف من حديث محمد بن سيرين عن كثير بن مفلح: "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، قال فبعثوا إلى الرَّبعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه، قال محمد :قلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه، قال لا، قال محمد: فظننت ظنًا أنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله"[٢]
- الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول وإلغاء ما لم يثبت.
- رُتبت الآيات والسور على الوجه المعروف الآن: قال الحاكم النيسابوري: "إن جمع القران لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة الرسول، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين" [٣].

مو افقة الصحابة للمصحف:

بعد أن أنفذ عثمان بن عفان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يحرق، وبعث إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم [٤] .وقد رضي الصحابة ما صنع عثمان وأجمعوا على سلامته وصحته، وقال زيد بن ثابت: "فرأيت أصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان [٥] ."وروى أبو بكر بن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: " أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد. وروى سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب: "لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل في

---

[١] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، الجزء الأول صـ٦٠.

[٢] ابن أبي داود: المصاحف، صـ ٣٢.

[٣] المستدرك على الصحيحين: الجزء الثاني، صـ ٢٢٩.

[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري: الجزء التاسع، صـ ٢١.

[٥] نظام الدين النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج١، صـ ٢٧.

المصاحف إلا عن ملأ منا"، وقال ابن أبي داود: قال علي في المصاحف: لو لم يصنعه عثمان لصنعته[١].

لم يُنقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل الخليفة عثمان بن عفان، إلا ما روي من معارضة عبد الله بن مسعود، ولم تكن معارضته بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص أو زيادة، وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة نسخ المصاحف، ولهذا قال: "أُعزل عن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجلٍ كافر [٢] وروى الترمذي عن ابن شهاب قال: "فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"، وقد دافع الفقيه أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد فقال :"ولم يكن الاختيار لزيد إلا أن زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود، لأن زيدًا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبًا لتقدمته عليه، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيرًا منهما ولا مساويًا لهما في الفضائل والمناقب، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم" [٣]، وأكد الذهبي على ما قاله الأنباري فقال :"وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد [٤] وقال ابن كثير :" وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب، بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف.. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق" [٥]

أما ما يتعلق بجواز الصحابة ترك الأحرف الستة التي أمر الرسول قراءة القرآن بها، واقتصارهم على حرف واحد، فقد علل ابن القيم جمع الناس على حرف واحد وقال : "فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف، فعلوا ذلك ومنعوا الناس من

---

[١] ابن أبي داود: المصاحف، صـ ١٩.

[٢] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبي عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١ صـ٥٢.

[٣] المرجع السابق: ج١ صـ٥٣.

[٤] الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج١ صـ٤٨٨.

[٥] ابن كثير: فضائل القرآن، ج١ صـ ٢٠.

القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتيت ويطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة" [١]

المصحف الإمام:

مصحف الإمام أو المصحف الإمام: هو المصحف المنسوب إلى الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفّان [٢] ويطلق هذا الاسم على مصحف عثمان بن عفان الشخصي الذي احتفظ به لنفسه، ونُسخ منه المصاحف ووزعت في الأقطار الإسلامية [٣] .يقول محمد طاهر الكردي في تاريخ القرآن :"والمراد بالمصحف العثماني مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أمر بكتابته وجمعه، وكانوا يسمونه المصحف الإمام، وسبب هذه التسمية الإمام هي مقولة عثمان (يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً[٤] . قال السيوطي: "أن عدد النسخ التي انتسخت من المصحف العثماني الذي جمعه الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ليجمع عليه الأمة تفادياً للخلاف والفرقة في الدين، وأجمع الصحابة على أنه تضمن جميع الصحف التي كان الصديق قد جمعها في عهده بمشورة من عمر رضي الله عنه، وتركها عمر عند بنته حفصة رضي الله عنها: عدد هذه النسخ سبع، أرسل منها نسخة إلى مكة، وواحدة إلى الشام، والثالثة إلى اليمن، والرابعة إلى البحرين، والخامسة إلى البصرة، والسادسة إلى الكوفة، وحبس واحدة بالمدينة، وهذه المصاحف الموجودة اليوم بأيدي الناس في مشارق الأرض ومغاربها صادرة عنها، ولا يوجد أي جمع بعد هذا الجمع، وجميع أوجه القراءة مطبقة على هذه المصاحف" [٥].

ولا يمكن فيما يتعلق بوصف المصحف الإمام العثماني أن نقف على وصف دقيق في الوقت الحاضر، وذلك بسبب تعدد الروايات واختلافها حول مصير المصحف

---

[١] ابن القيم: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، صـ١٦.

[٢] يحيى السقاف: الميزان في الإعجاز العددي للقرآن مع بحث كامل عن الرسم العثماني، راجع: موقع واي باك مشين.

[٣] كتاب المعجزة الكبرى القرآن " فصل تحريق غير المصحف الإمام – راجع الموقع السابق.

[٤] محمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن الكريم، صـ٣.

[٥] القرآن الموجود اليوم - صادر عن مصحف الإمام، راجع: موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، نشر في ٤ ديسمبر ٢٠٠٢.

العثماني أو المصاحف العثمانية الأصلية، وقد رُوي أن أبو عبيد القاسم بن سلام رأي مصحف عثمان المنقوط بدمه وشاهد آثار الدماء بصفحات منه، ويقول: "رأيت الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٣ هـ فشبرتُ طول المصحف فإذا في الورقة ثمانية وعشرون سطراً، ورأيت أثر دم فيه كثيراً في أوراق من المصحف كثيرة، بعض الورق قدر نصف الورقة وبعضه قدر الثلث وفي بعض الورق أقل وأكثر ورأيت عظم الدم نفسه في سورة النجم"، [١]ويقول صاحب كتاب سمير الطالبين :"كتبت المصاحف العثمانية على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ بتوقيف جبريل عليه السلام للنبي صلي الله عليه وسلم على ذلك وإعلامه عند نزول كل أية بموضعها، مجردة من النقط والشكل، والذي عليه الجماهير من السلف والخلف أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها الرسول صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه والسلام ولم تترك حرفاً منها" [٢].

المبحث الثالث

شبهات وردود حول جمع القرآن في خلافة عثمان بين آراء العلماء وتطاول الجهلاء

في هذا المبحث " شبهات وردود " أحاول بعون الله وتوفيقه أن أسلط الضوء على بعض الشبهات المشهورة والقادحة في جمع القرآن في خلافة عثمان - رضي الله عنه- وأسأل الله وحده أن يكون هذا خالصاً لوجهه الكريم سبباً في غفران الذنوب وعفو الرحمن. وفي مستهل هذا المبحث رأيت من الصواب أن أوضح الفرق بين جمع القرآن في خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – وبين الجمع الذي تم في خلافة عثمان حتى يزول اللبس عند البعض وحتى تتضح الفكرة قبل الحديث عن الشبهات.

الفرق بين جمع أبي بكر الصديق وجمع عثمان – رضي الله عنهما -

١- إن الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر: خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته، وذلك حين استحر القتل بالقراء في حروب الردة، أم جمعه في عهد عثمان لكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

٢- أن جمع أبي بكر على الأحرف السبعة، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على حرف واحد.

---

[١] سحر السيد: أضواء على مصحف عثمان بن عفان، صـ٣٨- ٣٩.

[٢] علي محمد الصباغ: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، صـ١٥.

٣- أن جمع أبي بكر كان مرتب الآيات، وفي ترتيب السور خلاف، أما جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق. وهذا رأي يقوله البعض ويردده ولكن هذا الرأي لا يثبت عند التحقيق العلمي للأسباب الآتية:

- إن ترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلم، وبتوجيه من الوحي، لأن ترتيب الآيات في سورها يعد ذاته مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، والنبي صلّى الله عليه وسلّم، قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤] إن ترتيب الآيات في السور بهذا الشكل العجيب البديع، وبهذا الترابط بين الآيات بعضها ببعض، والذي يبدو لمتأمله وكأنها حلقات مترابطة في سلسلة من ناحية اللفظ والمعنى فيه، فيجد الترابط والتلاحم التامين بين الآية وسابقتها ولاحقتها. على الرغم من أن هذه الآيات كان نزولها متفرقا، واستمر أكثر من عشرين عاما، فترتيب الآيات إنما هو وجه آخر من وجوه الإعجاز القرآني.
- إن عثمان رضي الله عنه لم يكن مستبداً برأيه في جمع القرآن، وإنما كل خطوة يخطوها أقدم عليها في جمع القرآن كان نتيجة استشارة الصحابة رضي الله عنهم، حملة القرآن وحفاظه، وكانت اللجنة برئاسة زيد بن ثابت وسعيد بن العاص هي التي قامت بجمع القرآن، وكان لعثمان رضي الله عنه دور الإشراف المباشر على تنفيذ المشروع، وإقرار ما يتوصل القائمون به، بعد عرضه على الصحابة والإجماع عليه [١].

٤- أن الجمع في عهد أبي بكر بمعنى الكتابة والتدوين، وأما الجمع في عهد عثمان فهو نسخه في مصاحف متعددة [٢]

أما عن الشبهات القادحة والمشهورة في وقائع جمع القرآن في خلافة عثمان فقد اجتهدت في تقسيمها إلى ثلاث:

الشبهة الأولى: وهي كما بينت في إشكالية البحث، أن جمع القرآن في خلافة عثمان أدخل عليه من الإضافات التي افتقر إليها تدوين القرآن فيما بعد لأن القرآن لم يكن مضبوطاً مشكولاً.

وتفصيل ذلك والرد عليه يأتي في السطور القادمة:

---

[١] انظر: عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن، صـ١١٥، ومناهل العرفان للزرقاني: ٣٠٢/١.

[٢] فهد الرومي: دراسات في علوم القرآن، صـ ٩٠.

زعم أصحاب هذه الشبهة من المستشرقين وغيرهم أن الإضافات التي ألحقت بالنص القرآني ولم تكن موجودة في العصر النبوي، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، شبهة قادحة في القرآن الكريم، وأبرز هذه الإضافات ما يلي:

- نقط حروفه لتمييز بعضها عن بعض، مثل تمييز الخاء من الجيم والحاء، وتمييز التاء بوضع نقطتين فوقها عن كل من الياء والباء والنون والثاء.
- ضبط كلماته بالضم والفتح والكسر والجزم.
- علامات الوقف: مثل ج – صلي – لا – قلي – م.
- وضع الدوائر المرقوم فيها أرقام الآيات في كل سورة.

وفي تفصيل الرد على هذه الشبهة نقول: أن النقط والضبط وعلامات الوقف المراد منها كالآتي: [١]

فأما المراد بالنَقْط هو وضع النُّقط فوق الحروف أو تحتها مثل نقطة النون ونقطة الباء.

أما الضبط فهو وضع الحركات الأربع: الضمة والفتحة والكسرة والسكون فوق الحروف أو تحتها حسب النطق الصوتي للكلمة. حسبما تفتضيه قواعد النحو والصرف.

أما علامات الوقف فهي كالنقط والضبط توضع فوق نهاية الكلمة التي يجوز الوقف عليها أو وصلها بما بعدها. وهذه الأنواع الثلاثة يُلحظ فيها ملحظان عامَّان:

الأول: أنها لا تمس جسم الكلمة من قريب أو من بعيد ولا تغير من هيكل الرسم العثماني للكلمات، بل هي زيادة إضافية خارجة عن " متون " (أصول) الكلمات.

الثاني: أنها كلها أدوات أو علامات اجتلبت لخدمة النص القرآني، ولتلاوته صوتيًا تلاوة متقنة أو بعبارة أخرى:

هي وسائل إيضاح اصطلاحية متفق عليها تعين قارئ القرآن على أدائه أداء صوتيًا محكمًا، وليست هي من عناصر التنزيل، ولو جرد المصحف منها ما نقص كلام الله شيئًا. وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو هو كتاب الله، إذن فليست هي تغييرًا أو تبديلاً أو تحريفًا أدخل على كتاب الله فأضاع معالمه، كما يزعم خصوم القرآن الموتورون.

---

[١] انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، صـ ١٧٦ بتلخيص وتصرف وانظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والقرآن الكريم، صـ٣٩.

فالنقط أضيفت إلى رسم المصحف للتمييز بين الحروف المتماثلة كالجيم والحاء والخاء، والباء والتاء والثاء والنون والسين والشين، والطاء والظاء والفاء والقاف والعين والغين، والصاد والضاد.

وقبل إضافة النقط إلى الحروف كان السماع قائماً مقامها، لأن حفاظ القرآن المتقنين المجوّدين ليسوا في حاجة إلى هذه العلامات، لأنهم يحفظون كتاب ربهم غضًا طريًا كما أنزله الله على خاتم رسله، أمَّا غير الحفاظ ممن لا يستغنون عن النظر في المصحف فهذه العلامات النقطية والضبطية والوقفية ترشدهم إلى التلاوة المثلى، وتقدم لهم خدمات جليلة في النظر في المصحف؛ لأنها كما قلنا من قبل وسائل إيضاح لقراء المصحف الشريف.

فمثلاً نقط الحروف وقاية من الوقوع في أخطاء لا حصر لها، ولنأخذ لذلك مثالاً واحدًا هو قوله تعالى: (كمثل جنة بربوة) لو تركت " جنة " بغير نقط ولا ضبط لوقع القارئ غير الحافظ في أخطاء كثيرة؛ لأنها تصلح أن تنطق على عدة احتمالات، مثل: حَبَّة حية حِنَّة خبَّة جُنة حِتة خيَّة جيَّة حبة جبَّة.

ولكن لما نقطت حروفها، وضُبطت كلماتها اتضح المراد منها وتحدد تحديدًا دقيقًا، طاردًا كل الاحتمالات غير المرادة.

وأول من نقط حروف المصحف جماعة من التابعين كان أشهرهم أبو الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يَعْمُر، والخليل ابن أحمد، وكلهم من كبار التابعين[1].

والخلاصة: أن نقط حروف الكلمات القرآنية، وضبط كلمات آياته ليس من التنزيل، وأنه حدث في عصر كبار التابعين، وإلحاق ذلك بالمصحف ليس تحريفًا ولا تعديلاً لكلام القرآن.

وهو من البدع الحسنة وقد أجازه العلماء لأن فيه تيسيرًا على قُرَّاء كتاب الله العزيز، وإعانة لهم على تلاوته تلاوة متقنة محكمة، وهو من المصالح المرسلة، التي سكت الشرع عنها فلم يأمر بها ولم ينه عنها

وتحقيق المصلحة يقوم مقام الأمر بها، ووقوع المضرة يقوم مقام النهى عنها. وهذه سمة من سمات مرونة الشريعة الإسلامية العادلة الرحيمة. أما علامات الوقف

---

[1] انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، صـ ١٧٦ بتلخيص وتصرف وانظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والقرآن الكريم، صـ٣٩.

فلها أدوار إيجابية في إرشاد قراء القرآن وتوجيههم إلى كيفية التعامل مع الجمل والتراكيب القرآنية حين تُتلى في صلاة أو في غير صلاة.

والواقع أن كل هذه المضافات إلى رسم كلمات المصحف فوق أنها والله سبحانه وتعالى أعلم وسائل إيضاح كما تقدم، اجتلبت من أجل خدمة النص القرآني، تؤدى في الوقت نفسه خدمة جليلة لمعاني المفردات والتراكيب القرآنية. وقد أشرنا من قبل إلى مهمات النقط فوق أو تحت الحروف، وعلامات الضبط الأربع: الفتحة والضمة والكسرة والسكون، فوق أو تحت رسم الكلمات.

ونسوق الآن مثالاً واحداً سريعًا للمهام الجليلة التي تؤديها علامات الوقف، التي توضع فوق نهايات الكلمات التي يُوْقَفُ عليها أو لا يُوقف:.وهو قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[الأنعام: ٢٠] علامة الوقف (م) موضوعة فوق الميم من كلمة "أبناءهم" للدلالة على لزوم الوقف عليها، وامتناع وصلها بما بعدها، وهو " الذين خسروا أنفسهم."

وسرُ ذلك اللزوم؛ أن الوصل يوهم معنى فاسدًا غير مراد، لأنه سيترتب عليه أن يكون قوله تعالى: " الذين خسروا أنفسهم " وصفًا لـ" أبناءهم " وهذا غير مراد، بل المراد ما هو أعم من "أبناءهم" وهم الذين خسروا أنفسهم في كل زمان ومكان. فهو حكم عام في الذين خسروا أنفسهم، وليس خاصًا بأبناء الذين آتاهم الله الكتاب. هذه هي علامات الوقف، وهذا نموذج من المعاني الحكيمة التي تؤديها، أو جاءت رامزة إليها، وبقيت حقيقة مهمة، لابد من الإشارة إليها.

أن خصوم القرآن يعتبرون علامات الوقف تعديلاً أُدْخِل على القرآن، بعد عصر النزول وعصر الخلفاء الراشدين.

وهذا وهم كبير وقعوا فيه، لأن هذه العلامات وغيرها ليست هي التي أوجدت المعنى الذي أشرت إليه وغيره كثير في القرآن الكريم، فهذه المعاني التي يدل عليها الوقف سواء كان جائز الطرفين، أو الوقف أولى من الوصل أو الوصل أولى من الوقف، أو الوقف اللازم أو الوقف الممنوع. هذه المعاني من حقائق التنزيل وكانت ملحوظة منذ كان القرآن ينزل، وكان حفاظ القرآن وتالوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبقونها في تلاوتهم للقرآن، قبل أن يُدوَّن [١].

---

[١] انظر: أبو عبد الله الزنجاني: تاريخ القرآن، صـ ٣٩ بتلخيص وتصرف.

القرآن في " المصحف " هذا هو الحق الذي ينبغي أن يكون معروفًا للجميع، أما وضع هذه العلامات في عصر التابعين فجاءت عونًا لغير العارفين بآداب تلاوة القرآن، دون أن تكون بشكلها جزءا من التنزيل.

الشبهة الثانية: وهو ادعاء الشيعة أن علياً كرم الله وجهه، له جمع خاص به، وأنه أول من جمع القرآن، ويأخذون على عثمان أنه اعتمد على جمع ونسخ المصاحف من المصحف الذي كان بحوزة " حفصة بنت عمر " وتجاهله بقية المصاحف التي كانت بحوزة الصحابة بما فيها مصحف علي. ونقول حول ما أُثير من موقف علي بن أبي طالب من عثمان في عملية الجمع.

في هذا الموضوع قضيتان إستشراقيتان :

الأولى :وهي أن ريجي بلاشير شك في أن يكون علي بن أبي طالب أيد موقف عثمان في عملية جمع المصاحف وإحراقها بعد ذلك، يقول: "لقد ذهبت الرواية إلى أبعد من ذلك، إلى الاعتقاد أن علياً نفسه أيد الجمع الذي قام به الخليفة... وهذا المعطى مشكوك فيه[١]"

الثانية :وهي لهنري ماسيه الذي قابل بين موقف الشيعة وعلي بن أبي طالب وموقف السنة وعثمان بن عفان فقال: "إن الشيعيين يؤكدون أن المقاطع التي تتعلق بعلي وعائلته قد حُذفت بأمر عثمان، ويستندون في ذلك إلى عدم تلاحم بعض المقاطع، ويعتبرون أن النص الأصلي قد انتقل سرا من كل إمام إلى خلفه، وسيظهر في النهاية عند ظهور الإمام المختفي" [٢]

والجواب السليم على هذا كله هو ما جاء على لسان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - فيما أخرجه ابن أبي داود- بسنده إلى سويد بن غفلة قال: قال علي: (لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فوالله ما فعل في الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا، قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفر؟ قلنا: فما ترى؟ أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت [٣]

وهذه هي الرواية التي قصدها بلاشير في السابق وعلق عليها فقال: (وهذا المعطى مشكوك فيه)، ولا ندري ماذا يقصد بهذه العبارة، وما وجه الشك فيها، وما هي

---

[١] Introduction au coran p. ٦٣

[٢] I islam p. ٧٩

[٣] هنري ماسية: الإسلام، صـ١٨.

القواعد والطرق العلمية التي استخدمها في رد هذه الرواية، وهي رواية صحيحة نقلها الحافظ جلال الدين السيوطي في الإتقان[١] عن ابن أبي داود وقال: (وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد [٢]

وفي رواية أخرى عن سويد: "قال علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته [٣]، وهذا الموقف الإيجابي الذي وقفه علي هو موقف الصحابة جميعاً، فقد روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص- وهو رجل ثقة [٤]، ما نصه: "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك، منهم أحد[٥]، ويظهر أنه لم يستثن ابن مسعود لرجوعه إلى رأي الخليفة عثمان. ومما تجب الإشارة إليه في هذا السياق أن عملية جمع المسلمين على مصحف إمام هي مبادرة أولى نحو انطلاق معرفة شرعية موحدة، وثقافة جامعة متماسكة دستورها النص القرآني الموحد، وإلى هذا أشار غنيم بن قيس المازني المتوفي سنة ٩٠هـ، وأبو مجلز لاحق بن حميد المتوفى سنة عشر ومائة- وهما ثقتان- فيما أخرجه ابن أبي داود عنهما، قال غنيم بن قيس: "لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرؤون الشعر [٦]، وفي رواية أبي مجلز مثله [٧]

فظهرت –من مجموع ما تقدم- المطابقة بين موقف علي بن أبي طالب وموقف الصحابة والتابعين، ولم يكتف علي بن أبي طالب بتزكية عمل عثمان وحده، بل زَكَّى عملية الجمع الأول التي تمت بعناية الخليفة أبي بكر وكان علي خير شاهد عليها، فقد أخرج ابن أبي داود بسنده إلى عبد خير – وهو ابن يزيد أبي عمارة الكوفي –قال: سمعت عليا يقول: " أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله [٨] "وسند هذه الرواية حسن [٩]

---

[١] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج١، صـ٦١.

[٢] المرجع السابق: نفس المكان.

[٣] أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: صـ١٢.

[٤] انظر: ابن الحجر العسقلاني: تقريب التهذيب، راجع: ترجمة مصعب بن سعد بن أبي وقاص، ٢٥١/٢، رقم ١١٥٢.

[٥] أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: صـ١٢.

[٦] أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: صـ١٣.

[٧] أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: صـ١٣

[٨] انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج٢، صـ٥٩.

[٩] المرجع السابق: نفس الصفحة.

الشبهة الثالثة: شبهات المستشرقين وهي كثيرة ومتنوعة وتلقفها أصحاب المدرسة العقلية وخصوم القرآن الكريم للطعن في القرآن ونزع القدسية عنه ومنها اصطدام القرآن بالحقائق العلمية وفي مسألة الجمع الأولى والثانية.

ونقول وبالله التوفيق

حاول بعض المستشرقين التشكيك في مصحف عثمان رضي الله عنه، فمنهم من زعم- كالمستشرق هنري- بأنه لا يتضمن الوحي كله، وبأنه قد أضيفت إليه بعض الإضافات التفسيرية والتذييلات، مع تغيير أماكن بعض الجمل [١].

ومنهم من زعم - كبلاشير وجفري- بأنه فرض على المسلمين فرضاً وجوبه بمقاومة، ولم يعتمد في جمعه على مصاحف الصحابة كمصحف ابن مسعود وغيره، والتي كانت مختلفة معه [٢]، دعوى ومزاعم كثيرة لا أساس لها ولا سند من حقيقة الأمر وواقع الحال.

فأما ما ذكره هنري فلا يخلو من كونه إقامة دعوى بدون دليل، إذ لو كان صادقاً في ادعائه لأتى بدليل ولوضع يده على بعض تلك الإضافات التي ضمت إلى القرآن، وسكت عنها العلماء المسلمون على حد زعمه، ولبين لنا أماكن تغيير تلك الجمل حتى يكون لنا موقف من مناقشته على ضوء ذلك. أما إطلاقه الكلام من غير تبيان، فيعد خلافاً واضحاً للمسلك العلمي الذي ينبغي اتباعه في مثل هذه الدراسات[٣]، وأنه ليس هناك أي قول لأحد المسلمين بتجويز وضع كلمة ما في مصحف بدل كلمة في المصحف العثماني المنسوخ قطعاً عن مصحف أبي بكر المأثور يقيناً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز قراءة كلمة ما مغايرة لما في ذلك المصحف، أو إغفال حرف ما حتى ولو لم يختل المعنى.

أما ما يخص تعدد القراءات مما يسمى بالسبع أو العشر، فليس هو في صدد اختلاف في الألفاظ، أو نقص أو زيادة فيها، وإنما هو في صدد اختلاف الأداء في القراءة [٤].

أما ما جاء في ادعاء بلا شير وآرثر جفري، فيمكن تفنيد هذا الادعاء بأن مصاحف الصحابة لم تكن تختلف فيما بينها، كما لم تكن مختلفة في مجموعها مع المصحف

---

[١] هنري ماسيه: الإسلام، صـ١٠٨.

[٢] ريجي بلاشير: كتاب القرآن، صـ ٣٤، ومقدمة آرثر جفري لكتاب المصاحف، صـ ٥، محمد بهاء الدين: والمستشرقون والقرآن الكريم، صـ ٢١٥،

[٣] انظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والقرآن الكريم، ٢١٥.

[٤] انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، صـ ١٧٦، والمستشرقون والقرآن الكريم، صـ ٢١٥.

الإمام كما زعم بلاشير وجفري اللذان يبدو أنهما استندا في إصدار حكمهما على تلك القراءات التي رويت بطرق الآحاد أو القراءات الشاذة أو القراءات التفسيرية المنسوبة إلى أصحاب تلك المصاحف، تلك القراءات التي لم تثبت قرآنيتها.

وليس أدل على هذه الحقيقة من أن القراء الذين تلقوا قراءاتهم على أصحاب تلك المصاحف لم ينقلوا عنهم قراءة تخالف ما يحتمله رسم المصحف الإمام الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، والذي حظي بإجماع الصحابة وتواتر ما فيه، والذي جاء كاملا من غير زيادة ونقص فيه، وقد نوهنا عن رسم المصحف الإمام في المبحث الثاني من هذه الورقة.

يقول الدكتور عبد الله دراز: نظرا لغيرة المسلمين الأوائل وهم بطبيعة الحال أكثر تحمساً لكلام الله تعالى من خلفائهم يستحيل علينا أن نعلل قبول الكافة لمصحف عثمان دون منازعة أو معارضة بأنه راجع إلى انقياد غير متبصر من جانبهم. ولقد قرر المستشرق (نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن): أن ذلك يعد أقوى دليل على أن النص القرآني على أحسن صورة من الكمال والمطابقة[١].

قال الآمدي [٢]: "إن المصاحف المشهورة في زمن الصحابة كانت مقروءة عليه صلّى الله عليه وسلّم ومعروضة، وكان مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه آخر ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يصلي به إلى أن قبض" [٣]؛ ولأن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان قد قرأ العرضة الأخيرة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل انتقاله صلّى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وزيد بن ثابت كان عليه الاعتماد الأكثر من الكتاب في نسخ مصحف الإمام في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه.

أما فيما يتعلق بترتيب الآيات والسور، فقد ادعى لويس جارديه، والأب قنواتي في كتابيهما (فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام)، قالا: "إن عثمان بن عفان أقبل إلى القرآن في خلافته، فقسمه إلى سور وآيات، ورتب السور وراء بعضها حسب طولها، فأطولها أولا ثم ما دونها طولا وهكذا" [٤].

---

[١] محمد عبد الله دراز: المدخل إلى القرآن الكريم: صـ ٣٩.

[٢] الآمدي: هو أبو الحسن بن أبي على محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي المتكلم. انظر: تاريخ القرآن للزنجاني، صـ ٣٩.

[٣] تاريخ القرآن للزنجاني: صـ ٣٩، وينظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والقرآن الكريم: صـ ٢١٦.

[٤] أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي: صـ ٣٣٩، محمد بهاء الدين: المستشرقون والقرآن الكريم،: صـ ٢١٧.

أما المستشرق بلاشير فزعم: "أن إعادة ترتيب السور الذي اقترحه فولدكه ومدرسته ينال هنا كامل أهميته أنه يلقي على المصحف أضواء مطمئنة ويرد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك، لكونها مقرونة إلى السياق التاريخي المعقول" [١].

أما المستشرق ريجرد بيل، فقد ذهب أبعد من بلاشير ونولدكه حينما زعم: "أن الترتيب الحالي والمعروف لدى المسلمين ترتيب خاطئ، وضع كيفما اتفق، فسور وآيات وضعت في الآخر، وكان عليها أن تكون في الأول، والعكس صحيح"[٢].

وما هذه الأقوال إلا ادعاءات وافتراءات ومزاعم مخالفة للحقيقة والواقع، وليس هناك أدنى دليل في دعمها وتبريرها، فها هو دأب المستشرقين لم يتركوا جانباً من الجوانب المتعلقة بالقرآن الكريم إلا وقد وجهوا مطاعنهم إليه، لذا كان أمراً طبيعيا لهم أن يطعنوا في ترتيب الآيات والسور في المصحف العثماني، ظنا منهم أنه تم باجتهاد جامعيه.

النتائج والتوصيات

أولاً: التوصيات:

١- أقترح وأوصي بتدريس مادة علوم القرآن، وأخص منها" وقائع جمع القرآن الكريم " في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – ثم المرحلة الثانية لجمعه في خلافة عثمان – رضي الله عنه – لمرحلة ما قبل التعليم الجامعي، أما في التعليم الجامعي فواجب على الأمة تدريس هذا العلم بتوسع وخاصة جانب الردود العلمية على شبهات الخصوم والمستشرقين.

٢- عقد مسابقات محلية ودولية في هذا العلم لتشجيع النابغين فيه.

٣- طبع مصاحف مزيلة ببعض المعلومات التي تزود القارئ بالحد الأدنى من هذا العلم.

٤- إنشاء هيئة علمية عالمية للمسلمين تضم كبار العلماء وأقترح أن يكون اسمها " الهيئة العالمية للقرآن الكريم وعلومه "

٥- تجريم التطاول على القرآن الكريم بعقوبات رادعة وخاصة في البلاد الإسلامية.

ثانياً: نتائج البحث:

---

[١] انظر: ريجي بلاشير: كتاب القرآن، صـ٤٣.

[٢] المستشرقون والقرآن الكريم لمحمد بهاء الدين: صـ٢١٧.

١- القرآن الكريم معجزة أبدية خالدة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج المسلمين في كل زمان ومكان، إذ كل رسول مؤيد بمعجزة ومنهاج، فمعجزة موسى عليه السلام العصا ومنهاجه التوراة، ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذن الله، ومنهاجه الإنجيل، إلا الرسول صلى الله عليه وسلم كانت معجزته عين منهاجه، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه.

٢- ثبت من البحث أن كتابة وتدوين القرآن الكريم تم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يرتب في مصحف واحد لأسباب وضحت في موضعها، وقدم البحث الدليل من القرآن والسنة المباركة وأحداث السيرة المباركة على كتابة القرآن في حياة النبي صلى الله عيه وسلم.

٣- حرص الصحابة الكرام على حفظ دستور الأمة من الضياع أثمر أروع وأعظم عمل عرفه التاريخ لخدمة القرآن الكريم، وذلك بمشورة واقتراح عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وموافقة وإشراف خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، وتنفيذ زيد بن ثابت وبمعاونة وإقرار الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وإجماع الأمة عليه دون إنكار من أحدهم، فجمع القرآن بهذا العمل المبارك.

٤- ثبت من البحث حرص سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه- على توحيد الأمة بتوحيد دستورها وجمعها على مصحف واحد، وهو المصحف الإمام، وتم هذا العمل المبارك باقتراح من أمين سر الأمة حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- وبلجنة رباعية برئاسة زيد بن ثابت- رضي الله عنه- وأمد سيدنا عثمان اللجنة بعدد آخر من الصحابة لمساعدتها في هذا العمل الجليل، حتى أصبحت لجنة عشرية، وبإشراف مباشر منه رضي الله عنه وأرضاه.

٥- أثبت البحث أن شبهة الإضافات التي ألحقت بالنص القرآني، ولم تكن موجودة في العهد النبوي، ولا في عهد الخلفاء الراشدين شبهة واهية، وأنها لا تمس من قريب أو من بعيد أصل النص القرآني، ولا تغير من هيكل الرسم العثماني للكلمات، بل زيادة إضافية خارجية عن متون "أصول" الكلمات.

٦- من الأساليب التي كشف البحث زيفها هو الطعن في النقلة أولاً – وهم الصحابة العدول – حتى يتسنى لهم الطعن في المنقول وهو كتاب الله المحفوظ كما وعد الله تبارك وتعالى، وكل قول بزيادة أو نقصان أو تحريف فهو كفر والعياذ بالله، لأنه يخالف قوله سبحانه وتعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (سورة الحجر: آية:٩).

٧- فند البحث أيضا شبهات الشيعة وادعاءاتهم حول جمع القرآن في خلافة عثمان - رضي الله عنه- واستغلال المستشرقون لهذه الادعاءات وتم الرد عليها علمياً بأقوال سيدنا على بن أبي طالب والصحابة الكرام وآراء العلماء.

٨- رد البحث على شبهات المستشرقين وبين غثها وأنها بنيت على أدلة واهية لا تثبت أمام التحقيق العلمي.

قائمة المصادروالمراجع بعد القرآن الكريم

١- أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، إعداد الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، المجلد السابع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، صـ ٣٣٨، قرار الهيئة رقم (١٧)، بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٣٩٩هـ.

٢- ابن القيم: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ١٤٢٨ هـ.

٣- ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ): الإحكام في أصول الأحكام، ط ١ (١٤٠٤ هـ)، دار الحديث، القاهرة.

٤- ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، ط ١ (١٤٠٤ هـ): الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة.

٥- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (٥٣٩- ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٦- أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، ط ٢ (١٩٧٤ م)، مكتبة المعارف، بيروت.

٧- أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

٨- أبو القاسم الخوئي، ط ٣ (١٣٩٤ هـ): البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، وكذا طبعة بغداد (١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م)، مطبعة العمال المركزية، بغداد.

٩- أبو بكر عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني الحنبلي المعروف بـ" ابن أبي داود (٢٣٠-٣١٦هـ): كتاب المصاحف، دراسة وتحقيق ونقد: د. محب الدين عبد الله السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

١٠- أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١١- أبو عبد الله الزنجاني: تاريخ القرآن، تقديم: د. أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

١٢- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، تحقيق: مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، السعودية.

١٣- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ): سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م).
١٤- أحمد اسماعيل يحيى: مفتاح الراغبين، الدار المصرية واللبنانية، ١٤٢٠هـ
١٥- أحمد اسماعيل يحيى: مفتاح الراغبين، الدار المصرية واللبنانية، ١٤٢٠هـ
١٦- أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ): إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ط ٦ (١٣٠٤ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
١٧- أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ): مسند الإمام، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
١٨- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ (١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٩- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
٢٠- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ): تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢١- الامام الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، على محمد عوض، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٢- الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ): الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣- الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي: الدرر المنور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت. تمت إضافته للمكتبة الشاملة في ٢٠١٠م.
٢٤- الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي: تاريخ الخلفاء، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م
٢٥- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.
٢٦- الشيخ إبراهيم النعمة: المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، ط ٢، مطبعة الزهراء الحديثة.
٢٧- القرآن الموجود اليوم: صادر عن مصحف الإمام، راجع: موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، نشر في ٤ ديسمبر ٢٠٠٢.
٢٨- أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، الناشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٩- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ: البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٣-١٤١٥هـ.